
بول إيلوار
نسيم الجناح

سلسلة الأفق الجديد



بول إيلوار

ترجمة فؤاد حداد • رسوم بهجت عثمان



الطبعة الاولى مارس/اذار ١٩٨٢

دار الفتى العربي

«إجعلي قلبَك طفلاً»

كان ياما كان فتاةٌ صغيرةٌ لطيفة جداً تكاد أن تكونَ ألطفَ منكِ وكانت خفيفةً خفيفةً. لمّا ولدتها أمُّها احتضنتها، ورفعتها بين ذراعيها، فلم تجد لها وزناً. ولهذا أطلقوا عليها اسماً خفيفاً: نسيمَ الجناح. وشبَّت نسيم الجناح وكبِرت، حتى أصبحت أجملَ من كل البنات. وكان أهل البلد يضربون بها المثل، و يقولون: «خفيفة وحلوة مثل نسيم الجناح».

مثلما أقول دائماً وفي كل مكان إنك خفيفةٌ وحلوةٌ.

وكانت نسيم الجناح تجري بسرعة ، وتسبق الصِّبيةَ الكبارَ. وكانت تقطِفُ ، وهي تقفز، ثمارَ البندق والتفاحِ من أعالي الشجر. بل وتقطف حباتِ الكريز من الشجرة الكبيرة ، التي تُترك عادة للعصافير.

وكانت تحط على الغصون الناعمة دون أن تكسِرَها ، وكأنها عصفور. وكانت لا تُخيف العصافير. وتستطيع أن تنظرَ في عينيها مثلما أنظر في عينيك . وتستطيع أن تسمعها من قريب وهي تقصُّ قِصَصَ العصافير. ولو أنها جرؤت ، لاستطاعت أن تداعبَها.



وعندما ترتمي في العشب ، كانت تشفقُ على الجراد ، هذا الجراد المسكين الأخضر الذي يتخبط مثل الضفادع ، والذي يرهق نفسه . أما أحب المخلوقات إليها ، فهي الفَراش . كانت تغار منها عندما تراها وهي تروح وتجيء ، سعيدة مثل السمك في الماء .



وكانت نسيم الجناح تعرف أنها لا تقوى على الطيران ، لأنها لا تملك أجنحةً .

كانت خفيفة فحسب ، وكأنها في خفتها تكاد أن تكونَ ورقةً أو قشة ،

أو بذورَ الهندباء (٥) البرية ، التي تطيِّرُها الريح الخفيفةُ ، إلى مكان بعيد جداً .

احذري الريحَ يانسيمَ الجناح ، فقد تخطفك . إهدئي واعقلي فإن الريح ربما حملتْك إلى حيث لا ترغبين .

---

(٥) نبات له ورق طويل مشرشر ، وزهرة صفراء ، حياتها سريعة التطاير مع الهواء . وتستخدم أوراقه كنوع من السلاطة .

وباللیل كانت نسيمُ الجناح تحلم أنها تطير فوق بيتها ، وتدور حول برج الأجراس ؛ وأنها تعبر النهر فوق جموع من المستحمِّين ، ومواكب من المراكب البيضاء . وأحياناً ، كانت تنزع خِفية بعض الريش من لحافها الأحمرِ الكبيرِ ، لتنفخَ فيه فيطيرُ من النافذة ، وتراه وهو يعلو في سماء الصباح .

وكانت تحب من الأساطير ، تلك التي يسافر فيها الأطفال ، على أجنحة نسرٍ أو بجعة أو عفريت ، أو على بساط الريح . وكانت شديدةَ الإعجابِ بصديقها بيير ، الذي ركب الطائرة ذات مرة .

وفي الساعة الرابعة ، عندما تعود من المدرسة ، كانت تسرع بتناول طعامِها ، ثم تسرع أكثر بالصعود إلى قمة شجرة الصنوبر أمام البيت .

وكانت ثلاثة أفرع تكفيها مقعدا مريحا يناسب حجمَها .

وتظل تثرثر مع أصدقائها العصافير، إلى أن تغيبَ الشمس ، وإلى أن تناديها أُمُّها القلقة .

ليس الحديث مع العصافير، أصعبَ من الحديث مع أي شخص كان في هذه الدنيا .

تتحدثين فيصطنع العصفور الفهم ، و يرد عليك ، فتصطنعين الفهم وتردين بدورك . المهم هو حُسْنُ الاستماع وإدراك مايقال .

إذا سألتُكِ : « هل تريدين فطيرة ؟ »

تصطنعين الفهم ، فأعطيك الفطيرة . وإذا هدَّدتك بالضرب ، تصطنعين الفهم ، فلا أضربُكِ .

وكذلك تثرثرين مع عروسِك ومع دبك ومع كلبك .



وكانت نسيم الجناح تعود إلى البيت ، فيدهش إخوتها عندما يسمعونها تكرر، وهي تغني ، مايقوله العصافير عن كل مغامراتهم التي تمتزج فيها الأجنحة والصباح والسماء والخوف من الرعد ، والخوف من الطائرات وكل الشؤون العائلية التي تدور حول الأعشاش .

وكانت نسيم الجناح لاتكفُّ عن الغناء ، وعندما تغني تهتز وكأنها ترتدي ثوباً من الريش .

وانشرح صدرُ أبيها وأمها بأن تكونَ في غاية المرح ، وتعوَّد كل منهما أن يراها مختلفة عن الآخرين ، وأنها تحيا على الأرض مدة أقصر منهم .

وكانت نسيم الجناح، صديقةً لكل العصافير. وكان الهَزاز والبلبل وأبو فصادة، يعلمونها ألعابا تتجدد دائما، وقفزات وشقلبات تملأ الدنيا بالضحك، وحركات رقيقةً تتَّسِمُ بالغرابة والحنان. مع الزُّرزور والشحرور يحلو المكر، ومع الحمام والقيمري تسجَع.

وفي كورس تتنهد، كأنك ترغب بالفعل في كل مالديك.

وكانت نسيم الجناح أليفةً مع أصدقائها فتساعدهم في بناء أعشاشهم، وتضيف إليها نِتَفا من صوف صُدريتها، لكي يشعر صغار الطير بمزيدٍ من الدفء.

وكان حدثٌ عظيم عندها أن ترى البيضَ الأخضر والورديَّ والأصفر، مثل بيض عيد الفصح تماما.

يُفقس كتاكيتَ وليدة.

وكانت نسيم الجناح تحبهم حبها لعرائسها.

كانوا مثلها لايكسوهم الريش، وأجنحتهم ضئيلة جدا. هؤلاء الصغار الأشقياء يفتحون منقارا كبيرا مثلَ الفرن.

وكانوا مثالَ البلاهة عندما يترددون في الطيران! هم بُلْه، ولكنهم مع ذلك أقل بلاهة من نسيم الجناح، لأنها لن تعرف أبدا كيف تطير، فهي لا تملك أجنحة.





وعند الصباح كانت نسيم الجناح تلوي عنقها ، لترى ظهرَها في المرآة .

ولكنَّ عظامَها المدببة ، التي تطلق عليها أمها اسم ألواح ، لا تميل إلى النمو أبدا ، فهي فتاة صغيرة ، وليست بلبلا صغيرا (إلا في رأي أمها) .

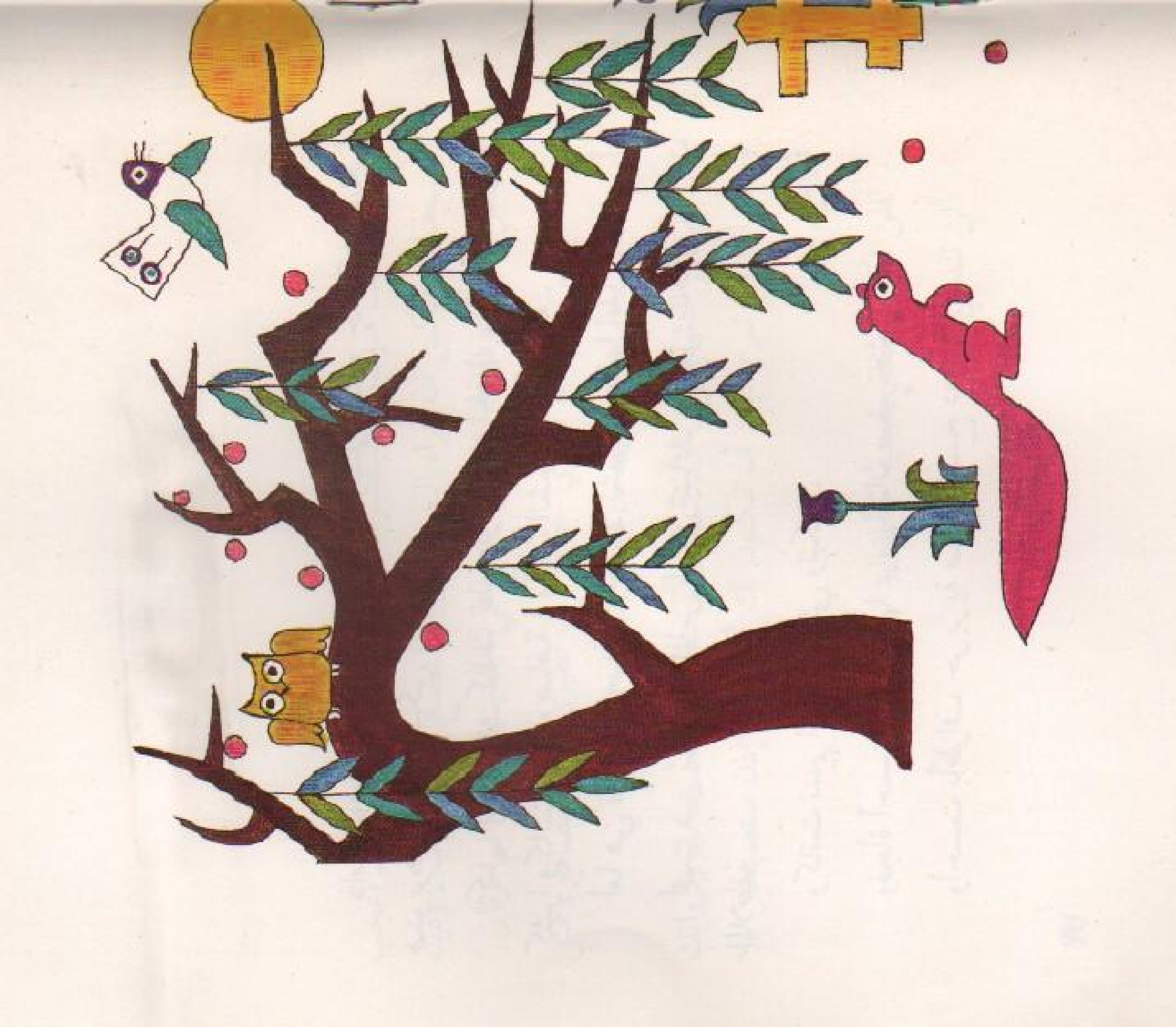
وكانت تهفو إلى أن تتبع أصدقاءها المجنحين!

وكانت تقول لنفسها إنها لن تكبرَ أبدا.

ومعنى الكِبَر عندها، أن يكون لها جناحان.

أما أنتِ فتكبَرين في قلبي، حتى أظنُّ أحيانا أنك أكبر مني، وإن كنتِ لا تُجيدين الطيران، فإنك تجيدين البقاء بالقرب مني.





ذات يوم ، وكان خميسا جميلا ، ونسيم الجناح جالسة في شجرة صنوبرها ، راحت تبكي .

كل العصافير كانت تطير وتزقزق عبر الحقول ، ولا تلتفت إليها كثيرا وكانت السماء صافية ، وكأن الشمس لها أجنحة .

أما هي فكانت وحيدة ، وحدة لا تشعرين بمثلها أبدا .

أنت من يُعِزُّها الناس ، ومن تتبادل مع كل شخص أماراتِ الملاطفة .

وكانت نسيم الجناح تبكي وتبكي .

وفجأة أحست على خديها بمرور لسان صغيرٍ خشن .

وأحست بأطراف حريرية صغيرة تمسح دموعها .

ورفعت عينيها فأبصرت ـ ملاصقا بالقرب منها ـ أعجب سنجاب يمكن أن تراه العين . فروه يلمع مثل اللهب ، وذيلُه منتفش ، وعيناه المليئة بالحيوية أسرع في الحديث من أي فم ثرثار

هل تريدين أن تطيري حقيقة ، أن تطيري مثلَ العصافير، مثل أبي فَصادة ، ومثل أبي الحناء ، ومثل الخُضّير؟

ومثل الشحرور الأزرق ؟ وأن تتبعي السحابَ ونزواتِك ورغباتِك ؟ تريدين أن تكون لك أجنحة ؟ إذن ستصبحين بلا ذراعين .

فلن تكوني طفلة طبيعية كأطفال العالم السفلي .

ألن تندمي ؟

قالت نسيم الجناح : أبدا أبدا ياسيدي السنجاب ، أعطني أجنحة .

قال السنجاب : نعم ، ولكن إذا ندمتِ ، فتعالَيْ إلى لقائي غدا عند مغيب الشمس حتى لايفوتَ الأوان .

وعندئذ قام السنجابُ ، ومن بين أجفانه الخفاقة تمتم بكلمات آيةٍ في العذوبة ، غايةٍ في الحكمة .

وأحست نسيم الجناح بزغزغة تمتد إلى ذراعيها ، ونبت عليها زغب أبيض ناعم ، ثم ظهر الريش الأبيض :

وصار لنسيم الجناح جناحان !



وجُنَّت جنون السعادة ، وقفزت من الصنوبرة ، وهبطت لتحفّ بالعشب ، ثم وثبت ثانية إلى سطْح بيتها ، وانطلقت مثل السهم نحو الغابة المجاورة .

ومن شجرة إلى شجرة راحت تُحيِّي أصدقاءها وهي تغني ، والكل يتبعها ، وهو أسعد منها .



وانتشت بالسرعة ، فابتعدت حتى فاجأها الليل ، ونامت دون أن تنظر إلى النجوم ، وقد وضعت رأسها بين جناحيها ، في أعلى سنديانة كبيرة .

ولحسن الحظ كانت هناك بومة عجوز ذات جِدٍّ للغاية ، كُلِّفت بأن تسهر عليها .

وأيقظ نسيمَ الجناح ضجيجُ مرحٍ من كل العصافير الذين يحيُّون شروق الشمس .

ولأول مرة في حياتها استيقظت نسيم الجناح في الهواء الطلق ، فبدا لها ذلك رائعا .

ثم أحسَّت بجوع شديد وتساءلت بقلق هل فاتها موعدُ المدرسة ؟ وكان أصدقاؤها يتناولون فطورهم من الحبوب ومن الديدان الصغيرة .

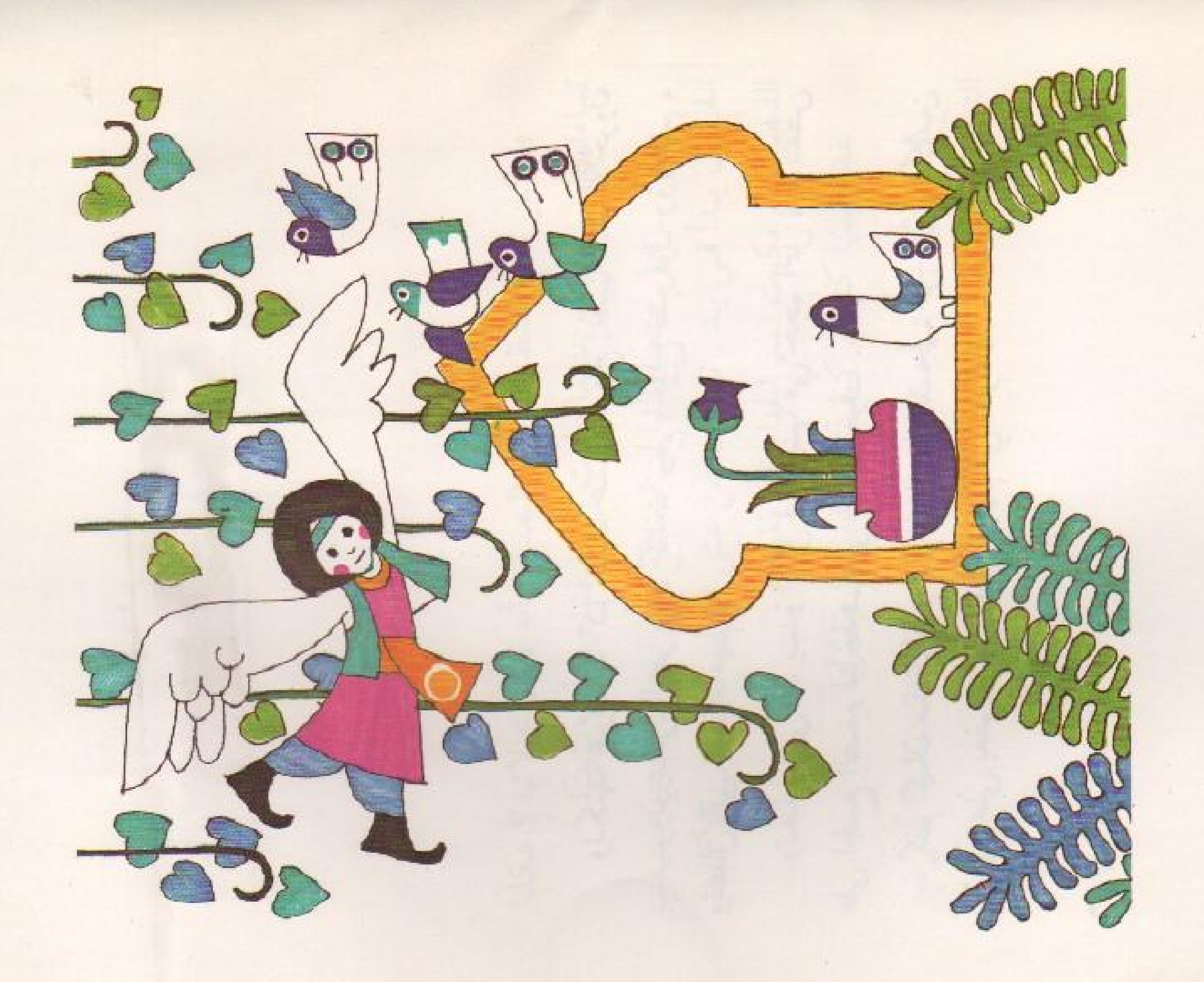
واشتاقت نسيم الجناح إلى القهوة باللبن والفطائر بالزبد ! ولكن يالها من بلهاء : بخفقتي جناح تصل إلى البيت .

فصعدت إلى مكان عال للغاية لترى بيتها ، واندفعت من النافذة المفتوحة إلى المطبخ ، حيث كانت الأسرة جالسة إلى المائدة .

واطمأن الجميع لعودتها ، ولكنهم دَهشوا من هيئتها الجديدة وارتمت نسيم الجناح تحيط بعنق أمها ، ولكنْ واأسفاه ؟ إن أجنحتها لا تستطيع العِناق .

وعندما أرادت أن تأكلَ أطعموها بأيديهم وكأنها طفل وليد ! أما إخوتُها الذين أُعجبوا بأجنحتها في البداية ، فقد أخذوا يسخرون منها . وكيف تحمل حقيبتها إذن ؟ !

وكيف تكتب في المدرسة ؟ !



ولكنها عوَّضت كل ذلك عند الخروج : فبينما كان الآخرون يسيرون على الطريق ، كانت نسيم الجناح تسير فوق رؤوسهم ، وتنطلق إلى بعيد أمامهم ،

وتعلو إلى أن يبدوَ الكل في عينيها في حجم النمل ، ثم تنقض على الجمع الصغير فيأخذهم شيء من الخَوف .

كم كان منظرُهم غريبا وهي تلمحهم من فوق ، مكوَّمين بعضهم على بعض ، وقد رفعوا أنوفهم في الهواء !

ولكن لماذا يتظاهر بيير الصغير بأنه لا يهتم بجولاتها ؟ هكذا تساءلت نسيم الجناح عندما عادت إلى غرفتها وهدأت نشوتها .

بيير... هل صحيح أنها لن تستطيعَ بعد اليوم أن تَجري معه في الحقول يداً في يد . تبحث عن عش الغراب أو تقطف الأكمامَ الذهبيةَ . ثم فكرت نسيم الجناح في دُمْيتها .

لقد أهملتها كثيرا . كيف تلبسها ثيابها وتغيّرها .

هذه الأجنحة غير عملية بالمرة ، عندما نطلب شيئا آخر غير التحليق والطيران !

وجلست نسيم الجناح في كرسيِّها الصغير (مافائدة ذراعَي الكرسي الآن ؟) وأخذت تفكر بعمق .

وفهمت تحذير السنجاب الذهبي . وأسفت على ذراعيها ، وأرادت أن تعودَ كما كانت فتاة صغيرة بحق .

يجب ألا تُضَيِّعَ لحظة واحدة :

فإن الشعاع الأخير ينساب وراء الأفق .



جُنَّت نسيم الجناح من القلق ، فطارت للمرة الأخيرة إلى شجرة الصنوبر، وكان السنجاب عند وعده ، ومن حسن ذوقه ، لم يطرح عليها أسئلة ، كان وجه نسيم الجناح يعكس ، بالقدر الكافي ماتريد .

ولم ينطق قائلا :

« سبق أن قلت لك » .

مثلما يفعل كبار السن في كثير من الأحيان .

ومن جديد تلألأت عيونُه بالكلماتِ السحرية ..

وإذا بنسيم الجناح سعيدة باستعادة ذراعيها ، و يديها البارعتين ، مثل سعادتها بالأمس عندما كان لديها جناحان .

ورويداً رويداً، هبطت نسيم الجناح، من غصن إلى غصن، حتى لامست الأرض، مع الآخرين، كلّ الآخرين، الذين يتمتعون بالخفة، والذين هم أقل منهم خفة،

والذين يسيرون وهم ينظرون إلى الحصى في الطريق، والذين يتطلعون إلى السماء.

والذين يعرفون أن الفتياتِ الصغيراتِ لايستطعن الطيران،

والذين يرون أن يوما سيأتي، يستطيع فيه صبيٌّ صغير، وكل صبيّة صغيرة - إذا أراد فعلا - أن يكون لديه جناحان وذراعان، دون أن يُغَيِّرَ ذلك شيئا من هيئته. فيعيش في الأرض والسماء في الوقت نفسه.

لقد حكيتُ لك هذه الليلة، حكاية كنت في انتظارها، تزيد قلبي ودادا، وتجعل في عينيك الثقة.



دار الفتى العربي

للنشر والتوزيع

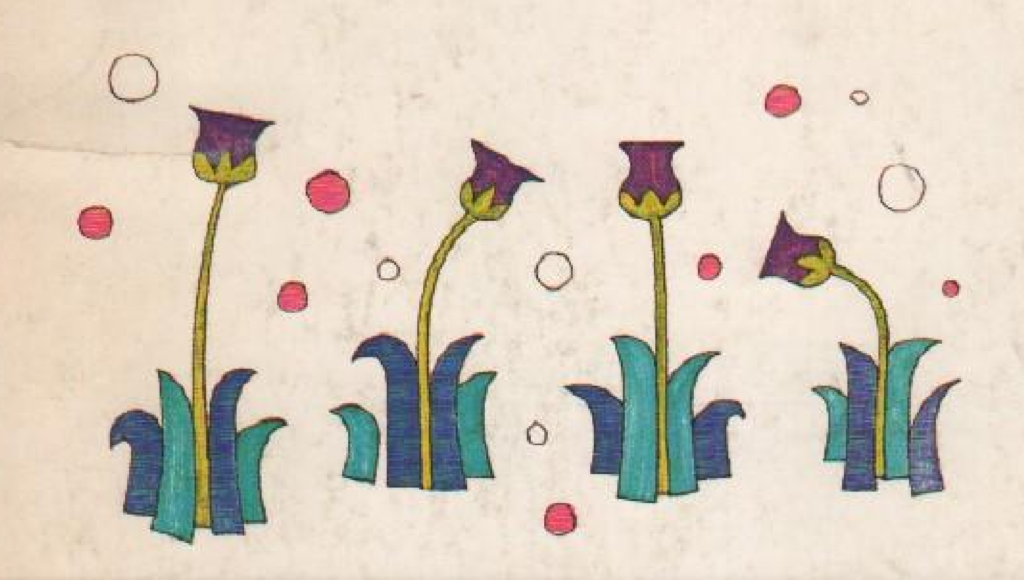
كورنيش المزرعة بناية الزك ص.ب ١٤/٥٢٣٦ بيروت – لبنان



تضم مجموعة من أجمل القصص الخيالية المثيرة. بعد قراءة قصص هذه السلسلة نجد أننا قد أحببنا أبطالها رغم معرفتنا أنهم ليسوا أبطالاً من عالم الواقع.

صدر من السلسلة

- **القنديل الصغير** قصة كتبها ورسمها غسان كنفاني
- **حارسة النبع** قصة زين العابدين الحسيني
- **السمكة الصغيرة السوداء** قصة الكاتب الايراني صمد بهرنجي
- **البلح الاحمر** قصة الدكتور محجوب عمر
- **نيم الجناح** قصة كتبها بول أيلوار
- **أوبرا القمر** للشاعر الفرنسي جاك بريفير
- **ليمونة الحاياة** قصة كتبها فؤاد حداد



طباعة: مؤسسة دار الريحاني